في بيت النبي

صلى الله عليه وسلم

تأليف

محمد متولي الصباغ

مكتبة مدبولي

في بيت النبي
صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

١٤١١ هـ - ١٩٩١ م

مقدمة

ان معرفة ما يجب لأهل البيت النبوي من حق وتعظيم وتوقير ومودة وحب واجب على كل مسلم ومسلمة ، لأن الله تبارك وتعالى فضل أهل بيت النبوة الكرام على سائر المخلوقات ورفعهم بفضله وكرمه أعلى الدرجات وأعطاهم سيادة الدنيا والآخرة ووصفهم بالكمالات الظاهرة والباطنة والمحاسن الفاخرة لأنهم نور لكل زمان وأوان فهم المميزون بالفضل عمن سواهم لأنهم معادن العلوم والمعارف وأولو الفصاحة والبلاغة ، وصدق الله العظيم اذ يقول في حقهم من سورة الاحزاب «انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا» ويقول أيضا في سورة هود «رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد» ويقول سبحانه في سورة الشورى «قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى» فصلوات الله وسلامه على سيدنا محمد الذي شرفه الله على سائر المخلوقين ورفع ببركته قدر المنتمين إليه ومنحهم من واسع فضله سوابغ الانعام وفرض على أمته مودة أقربائه ومحبة أهل بيته السادة الكرام الأطهار فإني لما رأيت أكثر الناس في حق أهل البيت مقصرين ، وعما لهم من الحق معرضين، ولمقدارهم مضيعين ، وبمكانتهم من الله تعالى جاهلين ، فبدأت الحديث عن أهل بيت النبوة بنبذه عن اولاد النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الكتاب البسيط «قبسٌ من نور أهل بيت الرسول» تدل على عظيم مقدارهم وترشد المتقى لله تعالى على جليل أقدارهم وعلو اخلاقهم والله سبحانة أسأله الهداية وأعوذ به من الضلال والغواية ، إنه قرب مجيب الدعوات وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى أهل بيته الكرام الأطهار.

المؤلف

محمد متولي الصباغ

القاسم عليه السلام

أول مولود لرسول الله
صلى الله عليه وسلم

القاسم هو أول اولاده صلى الله عليه وسلم وبه كان يكنى صلى الله عليه وسلم ـ ولد القاسم عليه السلام قبل البعثة سنة ثلاثين من مولده صلى الله عليه وسلم ـ وعاش حتى مشى وبلغ ركوب الدابة ـ وقيل عاش حتى بلغ سن التمييز ومات قبل البعثة وقيل مات في الاسلام فهو اول من مات من اولاد النبي صلى الله عليه وسلم ـ توفي بمكة ودفن بها عليه السلام، كان القاسم كثير الشبه بأبيه صلى الله عليه وسلم. لما ولد القاسم ضمه النبي صلى الله عليه وسلم الى صدره وفرح به فرحاً شديداً وفاضت نفسه بالمسرة ووجد في هذا الطفل أنس قلبه وزينة حياته ـ فكان كل يوم يمر يتمتع الرسول صلى الله عليه وسلم بابتسامة الطفل البريئة الطاهرة ويغذى بضمه الى صدره شعوره الانساني ويترعرع الطفل وينمو ويزداد شبهه بالنبي صلى الله عليه وسلم وضوحاً فيزداد له حباً وبه تعلقاً ويرمق من العطف بما لا عطف بعده، وبعد فترة من الزمن مرض الطفل وسعى النبي صلى الله عليه وسلم وزوجته الحنونة أم المؤمنين السيدة (خديجة) الى سرعة تمريضة ولكن القدر أسرع ويرى النبي صلى الله عليه وسلم الطفل في حجر أمه بنفسه، فيملأ الألم قلبه وتندى بالدمع عينه ويجلس الى جوار السيدة (خديجة) الملهوفة على ابنها وهو أشد ما يكون وجلاً وخوفاً وفزعاً، ويأخذ الطفل الى حجره وينظر اليه بعينين ملئتا ألماً والطفل في غيوبة الموت لا يوقظه بكاء أمه ولا بكاء أبيه وتقبض هذه الروح البريئة وينطفيء بموته أمل تفتحت له نفس النبي صلى الله عليه وسلم زمنا فتزداد عيناه بالبكاء، ويأخذ منه الحزن كل مأخذ ولكنه قدر الله فالسلام عليك يا قاسم وطبت حياً وميتاً.

زينب الكبرى

المولد الثاني لرسول الله

(صلى الله عليه وسلم)

ولدت «زينب» رضي الله عنها قبل بعثة والدها صلى الله عليه وسلم بعشر سنين وكانت باكورة زواجه من أم المؤمنين «خديجة بنت خويلد» رضي الله عنها وهي أكثر أخواتها شبهاً بأبيها «عليه الصلاة والسلام».

وهي تنتسب الى أشرف أبوين في الوجود فوالدها هو محمد صلى الله عليه وسلم المبعوث رحمة للعالمين امام الانبياء وقدوة المرسلين وقائد الغُرّ المحجلين عليه وعلى آله وصحبه الأبرار الطاهرين أزكى الصلاة وأطيب التسليم. وأمها هي سيّدةُ نساء العالمين ذروة قريش نسباً وشرفاً وفضلاً وعلماً زوجةُ أحب خلق الله إلى الله محمد عليه الصلاة والسلام.

نشأتها

خرجت إلى الدنيا في أكرم منبتٍ أنبتتها سُلالَةٌ قرشيّةٌ عريقة أصيلة ما عرف العرب أعَزّ منها ولا أنقى واستقبلها بيت كريم البنيان طاهر الأردان. لأنها كانت ثمرة زواج سعيد قام على الحب المتبادل والمودة الخالصة والاحترام العظيم ولقد رأى فيها الأبِ الكريم (صلوات الله وسلامه عليه) صورة لطيفةً من زوجته الحبيبة التي أنسته بحنانها الغامر وحدبها الكبير كل ما عاناه في طفولته من قسوة اليتم.

وكانت الأم العظيمة «خديجة» ترى فيها صورة حيّةً من زوجها الحبيب العزيز الذي بهرها منذ عرفته بجلال طلعته وأسرها بمهابته ونبل شخصيته وفتنها بجميل خصاله فتفتح له قلبها المغلق بسبب زواج سابق غير موفق فأقبلت على الحياة من جديد.

ولقد كانت «زينب» - رضي الله عنها - بإطلالتها الأولى على بيت النبوّة ريحانةً

تفيض عليه طيباً عابقاً وبهجة غامرة. وعُهد بها على عادة أشراف العرب إلى المرضعات فلما أخذت حظها ونصيبها تلقفها البيت الكريم ثانيةً بشوق بالغ وعطف غامر.

* * *

ولما شبت (رضي الله عنها) بادرت أمها بتدريبها على المشاركة في عبءِ المنزل وأخذتها على التمرين مأخذ الجدّ وحاولت أن تبعدها قدر الامكان عن عبث ألطفولة ولهوها فكانت وهي لا تزال فتاة صغيرة ـ لشقيقتها الصغرى «فاطمة» ـ رضي الله عنها ـ نعم المربية والراعية الصالحة ترعى شؤونها وتلاعبها وتقوم على خدمتها.

وحين اكتملت أنوثتها تقدم لخطبتها ابن خالتها «أبو العاص بن الربيع» الذي كان كثير التعلق بخالته «خديجة» التي كانت تُنزلُه منزل الابن وتغمره بعطفها وحنانها.

وكان «أبوالعاص» يرى «زينب» كلما جاء إلى بيت خالته فيؤخذ بجلال مرآها وعذوبةِ حديثها وذكاء ملامحها ولطف طباعها وتفتح أنوثتها وكانت «زينب» ـ رضي الله عنها ـ ترتاح إلى محضره ويطيبُ لها أن تُصغي إلى أخباره وما فيها من طرائف وغرائب. وهكذا تفتح القلبان وأحسا لمسة الحبّ الرقيقة السّاحرة تُحرك وجدانها وعاطفتها.

* * *

تقدم «أبو العاص» لخطبة «زينب» فأحسن رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاءه وأصغى اليه بكل جوارحه ولٰكنه استأذنه في سؤال صاحبة الشّأن ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ابنته قال لها:

ـ بنيتي «زينب» إن ابن خالتك «أبا العاص» ابن الربيع ذكر اسمك فسكت «زينب» حياءً ولم ترد جواباً لكن خفقات القلب الطاهر وإغضاء النظر حياءً كانا خير جواب. فعاد (عليه الصلاة والسلام) إلى «أبي العاص» وصافَحَهُ مُهنِّئاً وداعياً مباركاً.

في بيت الزوجية

وفي بيت الزوجية أظلت «زينب» وزوجها «أبا العاص» سعادة غامرةٌ وحبٌ متبادل فنهلا من رحيق الود أصفى شرابٍ وأنقاهُ.

وكـان «أبو العاص» بحكم تجارته ومكانته في قومه كثير السفر يغدو إلى الشام فيغيب أياماً وليالي فتعاني «زينب» من ألم الفراق ويعاني هو من ألم البعاد ولقد هاج به الشوق مرةً في إحدى رحلاته فأنسد يقول:

ذكرتُ «زينب» لما وَركتْ إرَما فقُلتُ: سُقْيا لشخْصٍ يَسْكُنُ الحَرما:
بنتُ الأمين جزاها اللهُ صالِحَةً: وكل بَعْلٍ سيثْني بالذي عَلِما.

* * *

وضعت «زينب» لأبي العاص ولدين «علياً» و«أُمامة» فاكتملت بهما فرحة البيت وامتلأت جوانبهُ سعادة وهناءة. ولكن...

وفي ذات يومٍ وبينما كان «أبو العاص» في احدى رحلاته حدث الأمر العظيم ونبىء رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرسالة. وتابعت «زينب» أباها شأن أمها وأخوتها وأهلها ولما عاد الزوج من رحلته حدثته بما حصل أثناء غيابه.

«مفتـرق الطـرق»

وقال «أبو العاص» لزوجته الحبيبه:

- والله ما أبوكِ عندي بمتهم وليس أحبُ إلـيَّ من أن أسلك معكِ يا حبيبةِ في شِعْبٍ واحد لكني أكره لكِ أن يقال ان زوجك خذل قومه وكفر بآلهة آبائه إرضاءً لامرأته فهلا قَدَّرت وعذرت!! وهما بعناقٍ.. ثُـمَّ ما لبثا أن تراجعا فجأة وكأنَ حاجزاً قد قام بينهما فحال دون بغيتهما وانكفئا.. ولم يناما ليلتهما ولا الليالي التي بعدها وسادَ جوٌّ المنزل قلقٌ وهم وحذر وانقلب النعيم إلى جحيم.

المسؤوليات وأعظمها فكانت صابرة محتسبة تخفف عن الأب الرسول آلامه وأحزانه وتواسي الأم قائلة:

- لا بأس عليك يا أماه.

البشــرى

وحضر (أبو طالب) إلى الشِعْب وبشر ابن أخيه بفك الحصار وتمزق الصحيفة وإجماع (هشام بن عمرو) و(زهير بن أمية) و(المطعم بن عدي) و(زمعة بن الأسود) و(أبي البختري بن هشام) على الوقوف إلى جانب بني هاشم وبني المطلب. فسُر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ونقل النبأ إلى أهل بيته وإلى المسلمين وعادوا جميعاً إلى مكة وقد زادهم الحصار يقيناً بالله وزادتهم المحنة تقرباً إليه تعالى وصقلتهم التجربة وشدت من إيمانهم وعزمهم.

وفاة خديجة (رضي الله عنها)

لقد أنهك الحصار بدن السيدة المجاهدة فرقدت في فراشها بمكة تتهيأ للقاء الله عز وجل ثم مالبثت روحها أن فاضت إلى بارئها سبحانهُ وتحلق من حولها: زينب وأم كلثوم وفاطمة يتزودن منها قبل الرحيل. وكان ذلك في اليوم العاشر من رمضان سنة عشر من البعثة ودفنها رسول الله صلى الله عليه وسلم بيديه الشريفتين في حفرتها في الحُجُون وعاد إلى البيت محزوناً فضم إليه «أم كلثوم» و«فاطمة» وواساهما وخفف عنهما ما بهما من ألم المصاب. وكبرت مسؤولية (أم كلثوم) فأضحت المسؤولة الأولى عن البيت النبوي الشريف وكانت نعم ربة البيت المثالية كيف لا!! وهي ابنة سيدة نساء العالمين (خديجة بنت خويلد).

الهجــرة

وأصبحت ذات يوم وقد شاع في أحواء مكة خَبَرُ مطاردة قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم الذي خرج من (مكة) إلى (يثرب) مهاجراً فلما علمت بوصوله

سالماً إطمأنت وسعدت . . . وبعد أيامٍ جاءَ من يثرب مُوفَد فصحبَ أُختيها «فاطمة» و«أم كلثوم» وبقيت زينب في (مكة) في منزل زوجها «أبي العاص» تنتظر قضاء الله وأمرهُ .

الاســـير

وخرج «أبو العاص» مع قريش في نفيرها لحماية تجارتها التي تعرضت لتهديد المسلمين ودارت رحى القتال وانتصر المسلمون ووقع «أبو العاص أسيراً» ولما استعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم الأسرى نحى «أبا العاص» جانباً وقال لأصحابه استوصوا بالأسرى خيراً وكانت «زينب» في وضع لا تحسد عليه وحين بدأت عمليّةُ فداء الأسرى كانت رضي الله عنها راغبةً في عودة زوجها إليها مستثيرة همّة والدها العظيم لذلك فاستخرجَت من صندوق ثيابها وحِليها قلادَة كانت لأمها «خديجة» رضي الله عنها وأهدتها إليها يوم عُرسها . ثم حَمّلتها لشقيق زوجها (عمرو بن الربيع) كي يقدمها فديةً عن زوجها .

ولم يكد (عليه الصلاة والسلام) يرى تلك القِلادة حتى رَقّ لها رِقّةً شديدة وخَفَقَ القلب الكبير للذكرى العظيمة . وأطرَقَ الحاضرون من الصحابة خاشعةً أبصارهم وقد أخذوا بجلالِ الموقف وروعته .

وبعد صمت طويل قال صلى الله عليه وسلم :

ـ إن رأيتم أن تُطلقوا لها أسيرها وتردوا عليها ما لها فافعلوا ! !

فقالوا جميعاً :

ـ نعم يا رسول الله .

الفــراق

لكن النبي صلى الله عليه وسلم أوصى (أبا العاص) أن يُرسِلَ (زينب ويتركها فإن الإسلام قد فرق بينهما .

وعاد (أبو العاص) إلى (مكة) فاستقبلتهُ (زينب) هاشّةً باشةً ، فرِحةً مُرَحّبة وكان

هو بادي الوجوم ظاهر الحزن ثم قال: ـ جئتكِ مُودّعاً يا (زينب)... وأخبرها بما وعد أباها منْ ردها إليه.

وعلى مضضٍ خرجت (زينب؛ من (مكة) وودّعت (أبا العاص) وداعاً مؤثراً فقال لها:

ـ مهما يحدث يا (زينب) فسأبقى على حُبّك ما حييتُ وفيًا وسيبقى طيفك أبداً ملءَ هذه الدار التي شهدت أحلى وأطيب أيام حياتنا. ومسحت ؟زينب؛ دموعها المترقرقِة. وانصرفت. ولكن قريشاً تصدت لها ومنعتها وأعادتها إلى مكة وروعت (عليها السلام) بما حَدَث لها وكانت حاملاً فنزفت دماً وأجهضت وعندئذ حماها (أبو العاص) عنده حتى استعادت قوتها وعافيتها واغتنم يوماً غفِلَت فيه قريش عنها فأخرجها بصحبةِ أخيهِ (كنانة بن الربيع) حتى أبلغها مأمنها عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاد (كنانةُ) يُردِّدُ وينشد:

عجبت لـ(هبّارٍ) وأوباش قومِهِ
يريدون إخفاري ببنت محمد
ولستُ أبالي ما حييتُ عديدَهُم
وما اسْتَجْمَعَت قبضاً يدي بمهندي

في الاسر مرة ثانية

خرج (أبو العاص) إلى الشام في عيرٍ لقريش وبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تلك العير قد أقبلت مس الشام فأرسل (زيد بن حارثه) ـ رضي الله عنه ـ في مائة وسبعين راكباً فلقوا العير بناحية (العيص) في جمادي الأولى سنة ست من الهجرة فأخذوها وما فيها من الأثقال وأسروا جماعة ممن كانوا في حراسة القافلة منهم (أبو العاص بن الربيع).

ودَخَل (أبو العاص) على (زينب) مستجيراً فأجارتهُ فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الفجر قامت (زينب) على باب أبيها مستشفعةً وقالت: ـ إني قد أجرتُ

(أبـا العـاص بن الـربيع) فخرج (عليه الصلاة والسلام) وقال: ـ أيها الناس هل سمعتم كما سمعت؟

قالوا: نعم.

قال: ـ فوا الذي نفسي بيده ما علمت بشيء مما كان حتى سمعت الذي سمعتم: (المؤمنـون يد على من سواهم يُجيرُ عليهم أدنـاهم) وقد أجرنا من أجارت. فلما انصرف (عليه الصلاة والسلام) إلى منزله دخلت عليه (زينب) فسألته أن يرد على (أبي العاص) ما أخذ منه ففعل وأمرها أن لا يقربها فإنها لا تحل له ما دام مشركاً ورجع (أبو العاص) إلى مكة فأدى إلى كُلّ ذي حقٍّ حَقّه ثُمّ أعلن إسلامَهُ في نادي قريشٍ وعلى رؤوس النّاس وانصرف إلى المدينة مسلماً مهاجراً وردّ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم (زينب) فاجتمع الشّمل واكتمل العقد وخّيم على الدار ما كان من قبل من حُبورٍ وسرورٍ وسعادة.

الفـراق الابدي

مضى على الزوجين عام واحد في المدينة يعّبان من السعادة والفرحة ثم كان الفراق الذي لا لقاء بعده إذ ماتت (زينب) رضي الله عنها ـ في مستهل السنة الثامنة للهجرة متأثرة بمرض النزف الذي لازمها منذ هجرتها.

وبكاها (أبو العاص) بكاء حاراً وتشبث بها حتى أبكى من حوله وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم دامع العين محزون الفؤاد ثم قال: إغْسِلْنها ثلاثاً... واجعلن في الآخرة كافوراً ثم صلى عليها وشيعها إلى المقر الأخير.

***

وعاد (أبو العاص) إلى ولديه: (علي) و(أُمامة) يقبلهما ويبللهما بدموعه مستذكراً وجه الحبيبة الغائبة. رضي الله عن (زينب) بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وجزاها بما صبرت وكافحت وجاهدت جنّة وحريرا.

رقيـــــة
المولود الثالث لرسول الله (صلى الله عليه وسلم)

وُلدت «رقية» ـ رضي الله عنها بعد أختها «زينب» فكانت قُرّةَ عينٍ لوالديها الكـريمـين ومـا لبثت أن جاءت بعـدهـا «أم كلثـوم» فنشـأتـا سويا، متلاصقتين متعـاطفتين، ولقـد اشتـد تقاربهما وانسجامهما خصوصاً بعد أن فارقتهما «زينب» كبُراهُن إلى منزل الزوجية فكانتا أشد وثوقا وخلوصا إلى بعضهما وكأن القدر كان يرسم لهما في مستقبل الأيام مصيراً واحداً بداية ونهاية وفي كتب السيرة ما يشهد على هذا التلازم الغريب العجيب إذا أجمعت كل الروايات التاريخية على وحدة الحال التي كانت قائمة بين الأختين «رقية» و«أم كلثوم».

الخـــطبة

بعد أن زُوجت «زينب» إلى «أبي العاص» ابن الربيع وقد قاربت سن «رقية» و«أم كلثوم من الزواج» جاءَ «أبو طالب» عم النبي صلى الله عليه وسلم خاطباً لهما إلى ابني أخيه «عبدالعُزي بن عبد المطلب أبي لهب فقال أبو طالب:

ـ جئناك نخطبُ ابنتينا «رقية» و«أم كلثوم» وما أراك تضِنّ بهما على ابني عمك. . . «عتبة» و«عتيب» إبنا العم (عبد العُزي). فأجاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: معاذ القرابة والرّحم ولكن هلا أمهلتني يا عمّ حتى أتحدث في هذا إلى ابنتي. . . .

* * *

وعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم الأمر على أهل بيته زوجته «خديجة» وابنته صاحبة الشأن. سكتت «خديجة» رضي الله عنها قليلاً في فترة تأمل فهي تعرف حق المعرفة (أم جميل) زوجة (أبي لهب) وتعرف قسوة قلبها وشراسة طبعها وحدة لسانها وطيشها الأهوج فأشفقت على ابنتيها أن تسلمهما إلى هذا الجو المشحون بالحقد

والكراهية والخلق السيء: ولكنها خافت إن هي نطقت برأيها أن تغضب زوجها فيظن أنها تريد أن تمزق أواصر القُربى بينهُ وبين أهله فسكتت كما سكتت الفتاتان حياء وأغضتا عن الجواب رقّةً وخجلاً. وتمّ الأمر وعقدت الخطبة في جو مشوبٍ بالقلق وبارك الأب الحنون ابنتيه وترك أمر رعايتهما لله عز وجلّ.

النبــوّة

ولاحَ في سماء مكة **قبس من نورٍ** أضاءها وبدد ظلمتها إذ أظلتها بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم هدايةً ونوراً وتردد في أسماعِ (خديجة) ما كان يقوله ابن عمها ورقة بن نوفل:

لَجِجْتُ وكنت في الذكرى لجوجاً.
لِهَمٍّ طالما بَعَثَ النشيجا
ووصْفُ من (خديجة) بعد وصف
فقد طال انتظاري يا خديجا
ببطن المكّتينْ على رجائي
حديثك أن أرى منه خروجا
ويظهرُ في البلاد ضياءُ نورٍ
يُقيم به البريّة أن تموجا
فيما لَيْتني إذا ما كان ذاكُمْ
شهدتُ فكُنْت أوَّلهم وُلُوجا

* * *

وتذكرت «خديجة» رضي الله عنها ابنتيها «رقية» و«أم كلثوم» وما سيؤُول إليه أمرهما بين يدي «أم جميل» الظالمة وزوجها المطواع لها.

* * *

واجتمعت قريش وائتمرت برسول الله صلى الله عليه وسلم وقال قائلها:

ـ انكم قد فرغتم محمداً من همه فردوا عليه بناته فأشغلوه بهن... ورد «أبو لهب»

زواج ابنيه من بنتي رسول الله صلى الله عليه وسلم قائلاً لولديه: - رأسي - من رأسيكما حرامٌ إن لم تطلقان ابنتي محمد... ولم يكن الدخول قد تم.

وعادت الفتاتان إلى زويهما... ولم تكتف «أم جميل» و«أبو لهب» بما أقدما عليه بل بالغا في إيذاء النبي صلى الله عليه وسلم فكان «أب لهب» يتعرض له في كل مجلسٍ وطريقٍ مهاجماً ومقارعاً وساباً شاتماً كما أن زوجته حمالة الحطب كانت تجمع الأشواك المؤذية فترميها في طريقه - عليه الصلاة والسلام - فتؤذيه. فأنزل الله سبحانه وتعالى قوله: «تبت يدا أبي لهب وتب ما أغنى عنه ماله وما كسب سيصلى ناراً ذات لهبٍ وامرأته حمالة الحطب في جيدها حبلٌ من مسدٍ» مما زاد شعورهما بالكراهية والنفور وإمعاناً في الشدةِ والايذاء.

البيت المثالي المجاهد

وقال «محمد صلى الله عليه وسلم لزوجته الوفية المخلصة: لقد مضى عهد النّوم يا خديجة... وأحسّت «رقية» و«أم كلثوم» - رضي الله عنهما - بتبدل أساسي في جو البيت فقد أصبح بيتاً يلُفهُ الجد، وتأخذه القسوة من كل جانبٍ فهو هدف رئيسي للاضطهاد والعذاب والسخرية وانزاحت عن أرجائه بسمة السعادة فتحملتا صابرتين مع الأبوين كل ذلك تقرباً إلى الله تعالى واستعذبتا الألم والشقاء والتضحية في المعركة المقدسة.

التعويض الكريم

وخاب فأل قريش وظنها فلم يعنت رسول الله صلى الله عليه وسلم من جراء رد ابنتيه إليه، إذ عوضهُ الله تعالى خيراً من الزوجين الأولين وعوضه زوجاً صالحاً كريماً عزيزاً عريق النّسبِ واسع الثروةِ لطيف الخلق حَسَنَ الطباع ذلكم هو «عثمان بن عفان بن أبي العاص بن عبد شمسة وكان - رضي الله عنه - من أعزّ فتيان قريش حسباً وجاهاً وغنى. وزوجهُ (عليه الصلاة والسلام) من «رقية» وبارك لهما وفيهما وعليهما.

المحنــة

واشتد أذى قريش بالمسلمين ونالو منهم نيلاً فاحشاً فأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه ولإخوانِهِ في الهجرة إلى الحبشة فراراً بدينهم حتى لا يفتنوا قائلاً لهم:

ـ لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكاً لا يظلم عنده أحد وهي أرض صدق حتى يجعل الله لكم فرجاً مما انتم فيه. فخرج «عثمان بن عفان» ـ رضي الله عنه ـ مع زوجته «رقية» التي كانت دامعة العين والهة القلب معذبة النفس وعانقت أباها وأمها وأخواتها وكأن لسان حالها يردد:

الأهل والأوطان ... فراقهم صعبُ
والروح والأبدان ... فليقبل الرب
لكنـه الايمان ... فداؤه القلبُ
فليقبل الربُّ

وكـان «عثمان» رضي الله عنه ساهماً حزيناً فنظرت إليه «رقية» المؤمنة الصابرة وقالت مخففةً عنه:

ـ إن الله معنا ومع الذين تركناهم برغمنا في جوار البيت العتيق فذهب عنه ما ألم به ومضت القافلة...

فـي حمى (النجاشي)

وأقام المهاجرون في حمى النجاشي موفوري الكرامة يتمتعون بحريّةِ العمل والعبادة ولم يكن لينغص عليهم مقامهم سوى أمرين اثنين: دسيسةُ قريش عليهم عند النجاشي وأخبار أهليهم في مكة بما يلاقونهُ من اضطهادٍ وعذابٍ ونصب.

العــودة

ومضت بهم الحيـاة . . . حتى سمعـوا بإسـلام «حمـزة بن عبـد المـطلب و«عمـر بن الخطاب» رضي الله عنهما فأثر بعضهم العودة رغبة بالمشاركة في صنع المستقبل ورؤية الأهل الذين طال بعدهم واشتد شوقهم إليهم . أما الآخرون فأرادوا أن يستمروا في مقامهم حتى يأذن لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعودة وكان «عثمان بن عفان» و«رقية» من الذين عزموا على العودة وما إن وطئت أقدامهم أرض الوطن وتكحلت عُيُونُهم برؤيةَ مغاني الصِّبا ومراتع الشباب حتى فاضت بالدّمع . ولكنهم فوجئوا بازدياد طغيان قريش وعنتها فطووا قلوبهم وأفئدتهم على خيبة الأمل . وكانت «رقية» أكثر العائدين حزناً لأنها دخلت دار أبيها مسلمةً مشاقة فقبلت أخواتها وبلهفةٍ سألت عن الأم العظيمة فسكتن ولم يجبن وكانت دموعهن أبلغ جواب لقد لحقت بالرفيق الأعلى فبكت (رقية) ونشجت ثم صبرت على قضاء الله وقدره .

الهجـرة إلى يثـرب

ولم يطل مقامها بمكة فقد هاجر المسلمون إلى يثرب وهاجر معهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي المدينة وضعت «رقية» طفلها (عبدالله) يملأ عليها دنياها الجديد أُنساً وبهجةً وعوضها عمّا لقيت في ماضي الإيام من لوعةٍ وعذابٍ ومُصاب . . . ولكن المؤمن ممتحنٌ مبتلى . . . (الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً) فبينـما كان الوليد الصغير نائماً في مهده نفرهُ ديك في وجه فتسمم ومات بعد أيام فترنحت (رقية) تحت وطأةِ المصاب ووقعت فريسة الحمّى فلازمها الزوج الحنون الرفيق (عثمان ؛ ـ رضي الله عنه يمرضها ويرعاها ويقوم على شؤونها ويدعو الله تعالى أن يخفف عنها ما بها ويذهب عنها البأس .

الوفـــاة

وتناهى إلى سمع ؟عثمان) ـ رضي الله عنه صوت الدّاعي إلى الجهاد يستنفر

الأنصار والمهاجرين للتصّدي لقافلة قريش الآيبة من الشام فأراد الخروج معهم استجابة لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم لكنه (عليه الصلاة والسلام) أمره بالبقاء قريباً من زوجته المريضة يواسيها ويخدمها. واشتد الصراع بين الموت والحياة ثم رفت روح «رقية» على شفتيها وهي تحتضر ثم أطبقت جفنيها وغابت عن الوعي. وبينما كان «عثمان» - رضي الله عنه - الزوج المفجوع بأعزّ زوجةٍ وحبيبةٍ يلثم جبينها وأناملها ويغطي وجهها كان صوت البشير القادم من «بدر» يعلن انتصار المؤمنين.

الأب الثـــاكل

ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت «عثمان» وقد هزهُ نبأ وفاةِ «رقية» - رضي الله عنها - وتقدم منها يودعها وقد ظهر الأسى في عينيه والحزن في سيماه وانثنى بلطف ورقـة على (فاطمة) التي كانت قد أكبت على مضجع أختها «رقية» تبكيها فرفعها بتؤدةٍ ولينٍ ومسح دموعها بطرف ثوبه. عندئذٍ علا نشيج النسوة الحاضرات فأراد (عمر بن الخطاب) - رضي الله عنه ان يمنعهن بسوطه فأمسك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له: مهما يكن من العين والقلب فمن الله والرحمة ومنهما يكن من اليد واللسان فمن الشّيطان.

الدفـــن

وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الأب المفجوع على ابنته وشيعها حتى واراها الثرى الطيب في البقيع الطاهر وعاد إلى البيت والمسجد يتابع جهاده في أداء الرسالة. . . .

* * *

رضي الله عن بنت رسـول الله صلى الله عليـه وسلم - رقية - ذات الهجرتين وزوجة ذي النورين - عثمان - وجزاها عن ايمانها وجهادها وبلائها أحسن الجزاء وأوفاه.

أم كلثوم
المولود الرابع لرسول الله
(صلى الله عليه وسلم)

لم تهاجر (أم كلثوم) - رضي الله عنها - إلى الحبشة الهجرة الأولى لتعاني من ألم البعد عن الوطن إلا أنها عانت ما هو أشد من الهجرة والغربة إذ حبست مع المسلمين وبني هاشم في شعب «أبي طالب» يتضورون جوعاً ومسغبة وألماً طوال ثلاث سنين ذاقوا خلالها أقسى ما يتصوره إنسان من متاعب القطيعة وجفاء المعاملة. وإن فرحة (أبي طالب) بتمزق الصحيفة التي علقت في الكعبة توكيداً من قريش على المقاطعة تصورها أبياته هذه:

ألا هل أتى بحرينا صنع ربنّا
على نأْيِهم والله بالناس أرْودُ
فيخبرهم أن الصحيفة مزقت
وأن كل مالم يَرْضَه الله مفسدُ
تراوَحَها إفكٌ وسحر مجمّع
ولم يلْفَ سحر آخر الدهر يَصْعَدُ
جزى الله رهطاً بالُحجُون تتابعوا
على ملإٍ يهدي لحزم ويرشدُ
قعوداً لدى خطم الحجون كأنهم
مقاولة بل هُمْ أعَزُّ وأمجدُ
قضوا ما قضوا في ليلهم ثم أصبحوا
على مهلٍ إذ سائر الناس رُقّدُ

ولادتها ونشأتها

تقـول قريش في انديتها: إن محمداً لا يلد إلا البنات قالوا ذلك غفلةً عن الحكمة الإلهية العظيمة المتعددة الجوانب الكثيرة الأهداف ذات المعاني الجمة . . . إذ نسـوا أنهم أهـل جاهليـة (وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهُهُ مسوداً وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكُهُ على هونٍ أم يدسه في التراب). ونسوا أنهم أهل ظلم ووحشية يئدون بناتهم خشية الفقر والعار وهماً وغباءً: (وإذا الموؤدة سُئلت بأي ذنبٍ قتلت) ونسوا أنهم أهل وثنيةٍ يعبدون الحجر والمدر وأن في الكون إلهاً يقدر ويخلق: (يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور أو يزوجهم ذكراناً وإناثاً ويجعل من يشاء عقيمًا) ثم أخيراً وليس آخراً غفلوا عن قول الله تعالى: (ما كان محمد أبا أحدٍ من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين). وبرزت إلى الوجود طفلة جديدة لـ(محمد) صلى الله عليه وسلم ممتلئةً مكتنزة جميلة المحيا أسيلَة الخدّين فسماها أبـواها (أم كلثوم). ـ ثم نمت ودرجت فكانت ـ كما علمت ـ نعم القرين لأختها «رقية» وكأنهما توأم. خطبتا إلى ولدي (أبيي لهبٍ) معاً ثم ردتا معاً ولقد كان خيراً لهما. إذ نجت (أم كلثوم) رضي الله عنها من نكدِ العيش مع (حمّالة الحطب) كما نجت معها أختها الحبيبة «رقيةً» التي ما لبثت أن تزوجها الشريف العفيف (عثمان بن عفان) رضي الله عنه وهاجرت معه إلى الحبشة.

فـي قلـب المعركة

بقيت (أم كلثوم) ـ رضي الله عنها مع أختها الصغرى (فاطمة في بيت أبيهما الرسول بمكة تشاركان (خديجة) أم المؤمنين عبءِ الحياة وشظفها وتخففان عن الوالد الكريم بحنانهما وعطفهما ما يلقاه من أذى قريش وسفهها. وعلى هذا فقد عاصرت (أم كلثوم) ـ رضي الله عنها ـ أشد فتراتِ الاضطهاد وأصعب ظروف الدّعوة وأقسى أيام الجهاد.

وبلغ الجهـل بقـريش ذروتهُ فتنادى الأرهاط فيها واجتمعوا ثم قرّروا مقاطعة المسلمـين وبني هاشم مقـاطعـة تُعَدّ في ذلك الحين أقصى ألوان الحرمان والحرب

الاقتصـاديّة والاجتماعيّة وأكدوا ذلك بكتابةٍ وثيقةٍ - صحيفةٍ - علقوها في الكعبة. فخرج محمد صلى الله عليه وسلم بأسرتهِ ومن تبعهُ إلى شعب (أبي طالبٍ) ضاحية من ضواحي مكة وانحاز إليه قَومه بنو هاشم.

وهناك عاشوا جميعاً في ضيق الحصار حتى انهم كانوا يأكلون أوراق الشجر من شدة الجوع وأقاموا على ذلك نحو ثلاث سنين تصل إليهم في بعض الأحيان الأقواتُ والأطعمة سراً وخاصةً من بعض ذوي قرباهم ممن لبثوا بمكة ولقد لمح (أبو جهل) يوماً (حكيم بن حزام بن خويلد) يسير متخفياً ومعه غلام يحمل قمحاً يريد به عمتهُ (خديجة) رضي الله عنها فأمسك به (أبو جهل) وجعل يصيح: أتذهب بالطعام إلى (بني هاشمٍ) والله لا تبرح مكانك أنت وطعامك حتى أفضحك بمكة.

❊ ❊ ❊

وروى (سعد بن أبي وقاص) - رضي الله عنه قال: لقد جعتُ حتى إني وطئت ذات ليلةٍ على شيءٍ رطب فوضعته في فمي وبلعته وما أدري ما هو إلى الآن (وكان ذلك الشيء الرطب - حسب ما حدثت بعض الروايات - روث بعيرٍ).

والله خير الماكرين

وكان (هشام بن عمرو بن ربيعة العامري) من أهل مكة الذين آلمهم ما يلقى المسلمون من ظلمٍ وعذاب فكان يأتي ليلاً بالبعير وقد حمّلهُ طعاماً حتى يصل به إلى أوّل الشعْب وهناك يخلع مقوده ثم يضربُهُ على جنبه فينطلق ويدخل إلى بني هاشم وبني عبـد المـطلب فيتلقفـونـه وكـأنها نعمـةُ السماء قد ساقها الله إليهم. وكانت (أم كلثوم) رضي الله عنها قد دخلت أقسى تجربةٍ وأعظم امتحان فوالدها رسول الله صلى الله عليه وسلم في هم وحزنٍ وألم وأختها (زينب) مع زوجها (أبو العاص) في مكة لا تملك لهم حولاً ولا طولا ورفيقة الصبا والعمر (رقية) في بلادٍ نائيةٍ بعيدة وأمها (خديجة) - أم المؤمنين تغالب المرض الشديد لا تقوى على الحركة والصغيرة (فاطمة) بحاجةٍ إلى رعايةٍ وعناية. لقد حملت (أم كلثوم) - رضي الله عنها - في تلك الآونة أكبر

المسؤوليات وأعظمها فكانت صابرة محتسبة تخفف عن الأب الرسول آلامه وأحزانه وتواسي الأم قائلة:

ـ لا بأس عليك يا أماه.

البشــرى

وحضر (أبو طالب) إلى الشِعْب وبشر ابن أخيه بفك الحصار وتمزق الصحيفة وإجماع (هشام بن عمرو) و(زهير بن أمية) و(المطعم بن عدي) و(زمعة بن الأسود) و(أبي البخـتري بن هشام) على الوقوف إلى جانب بني هاشم وبني المطلب. فسُرّ بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ونقل النبأ إلى أهل بيته وإلى المسلمين وعادوا جميعاً إلى مكة وقد زادهم الحصار يقيناً بالله وزادتهم المحنة تقرباً إليه تعالى وصقلتهم التجربة وشدت من إيمانهم وعزمهم.

وفاة خديجة (رضي الله عنها)

لقد أنهك الحصار بدن السيدة المجاهدة فرقدت في فراشها بمكة تتهيأ للقاء الله عز وجل ثم مالبثت روحها أن فاضت إلى بارئها سبحانهُ وتحلق من حولها: زينب وأم كلثوم وفاطمة يتزودن منها قبل الرحيل. وكان ذلك في اليوم العاشر من رمضان سنة عشرٍ من البعثة ودفنها رسول الله صلى الله عليه وسلم بيديه الشريفتين في حفرتها في الحُجُون وعاد إلى البيت محزوناً فضم إليه «أم كلثوم» و«فاطمة» وواساهما وخفف عنهما ما بهما من ألم المصاب. وكبرت مسؤولية (أم كلثوم) فأضحت المسؤولة الأولى عن البيت النبوي الشريف وكانت نعم ربةِ البيت المثالية كيف لا!! وهي ابنة سيدة نساء العالمين (خديجة بنت خويلد).

الهجــرة

وهاجر المسلمون إلى (يثرب) وهاجر معهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت رحلته أعظم مغامرةٍ عرفها تاريخ الانسانية في سبيل الله ونصرةِ الحق وبقيت

(أم كلثوم) و(فاطمة) في مكة حرصاً على سلامتها. وبعد وصوله؟ عليه الصلاة والسلام أرسل (زيد بن حارثة إلى مكة يستحضرهن فخرجن إلى الحجون وودّعن قبر الأم الحنون ثم مضين إلى يثرب.

أمّا ما دفع النبي إلى الهجرة فهو أنه حينما طرق مسامع قريش مبايعةَ الأنصار للنبي في يثرب على الذود عنه حتى الموت اجتمع رؤساؤهم وقادتهم في دار الندوة التي كانت قريش لا تقضي أمراً إلا فيها يتشاورون ما يصنعون في أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم. فأشار بعضهم بإخراجهِ من أرضهم ولكن هذا الرأي رُفض ثم أشار آخرون بحبسِهِ حتى يدركـهُ الموت فرفض هذا الرأي أيضاً. وأخيراً استقر رأيهم على أن يأخذوا من كل قبيلةٍ شاباً جلداً يجتمعون أمام داره فإذا خرج ضربوه ضربة رجلٍ واحدٍ فيتفرق دمُهُ في القبائل فلا يقدر بنو عبد مناف على حرب قريش كلهم بل بما دبّره الأعداءُ في سرهم وأمره باللحاق بدار هجرته التي سوف يكون فيها لرسول الله العـزةُ والمنعة. فتوجّه من ساعتهِ إلى حديقة أبي بكرٍ وأعملهُ أن الله قد أذن له في الهجرة فسأله أبو بكر الصحبة فقال: نعم ثم عرض عليه إحدى راحلتيهِ اللتين كانتا معدتين لذلك فجهزاهما أتم الجهاز. واستأجرا عبدالله بن أرقط من بني الدّيل بن بكر وكان هادياً ماهراً وهو على دين كفار قريش فأمناه ودفعا إليه راحتيهما ووعداه غار ثورٍ بعد ثلاث ليالٍ ثم فارق الرسول عليه الصلاة والسلام أبابكر وواعده المقابلة ليلاً خارج مكة وكانت هذه الليلة هي ليلة استعداد قريشٍ لتنفيذ ما اتفقوا عليه. فلما جاء ميعاد الخروج أمر ابن عمه علياً بالمبيت مكانهُ كي لا يقع في الشك في وجوده في أثناء الليل. ثم سجى علياً ببردته وخرج على القوم وهو يقرأ: «وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً فأغشيناهم فهم لا يبصرون».
الشعْب)

فألقى اللهُ النوم عليهم حتى لم يره أحدٌ ولم يزل عليهِ الصلاة والسلام سائراً حتى تقابل مع الصديق وسارا حتى بلغا غار ثورٍ فاختفيا فيه. أمّا المشركون فلما علموا بفساد مكرهم هاجت عواطفهم فأرسلوا الطّلب من كل جهةٍ وجعلوا الجوائز لمن يأتي بمحمدٍ أو يدل عليه وقد وصلوا في طلبهم إلى ذلك الغار الذي فيه طلبهم بحيث لو

نظر أحدهم تحت قدميهِ لنظرهما حتى أبكى ذلك أبا بكرٍ فقال عليه الصلاة والسّلام : «لا تحزن إنّ الله معنا» فأعمى الله ابصار المشركين حتى لم يحن لأحدٍ منهم التفاتةٌ إلى ذلك الغار. ولما انقطع الطلب خرجا بعد أن جاءهما الدليل بالراحتين وسارا متبعين طريق الساحل. وفي الطريق لحقهم سراقةُ بن مالك طامعاً في الجائزةِ التي جعلتها قريش لمن يقتل محمداً أو يأسرهُ. ولما دنا من الرسول ومن مَعَهُ عثرت به فرُسهُ فخر عنها ثم ركبها ثانياً فساخت قوائمها في الارض فعلم أن عملهُ ضائع سدى وداخله رعب عظيم فناداهما بالأمان وكان أهل المدينةِ حينما سمعوا بخروج رسول الله وقدومه عليهم يخرجون إلى الحرة حتى يردهم حر الظهيرة. وذات يوم أووا إلى بيوتهم وكان رجل من اليهود على رابيةٍ ينظرُ فبصر برسول الله وأصحابهِ يزول بهم السّراب يظهرهم تارةً ويخفيهم أخرى فصاح بأعلى صوته : يا معشر العرب هذا جدّكم أي حظكم الذي تنتظرون فثاروا إلى السلاح فتلقوا رسول الله بظهر الحرة.

الـزواج

مضى على الهجرة عامان حافلان بجليل الأحداث وعظام الأمور شهدت أم كلثوم) خلالها عودة أباها منتصراً من (بدر) كما شهدت وفاة شقيقتها الغالية رقية) متأثرة بمرضها. وحين أهل العام الثالث كان الحزن لا يزال جديداً عليها كنها تلمح (عثمان بن عفان) رضي الله عنه يأتي أباها دائماً يتلمس عنده العزاء النصح والعون عن فقيدته الغالية (رقية) وترى دموعه في عينيه تحدث عن لوعته حزنه.

وفي يوم جاء (ابن الخطاب) إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم شاكياً مغضباً سأله النبي عن سبب ذلك فأخبره بأنه عرض على (أبي بكر) وعلى (عثمان) الزواج ن ابنته (حفصة) فلم يرضيا فهدأه (عليه الصلاة والسلام) وطيب خاطره وقال له : ـزوج (حفصة) من هو خير من (عثمان) ويتزوج (عثمان) من هي خير من حفصة). وتزوج (عليه الصلاة والسلام) من (حفصة) فهو خير من (عثمان) ثم قال

لعثمان: أُزوجك (أم كلثوم) أُخت (رقية) ولو كن عشرا لزوجتكهن وهي - رضي الله عنها خيرٌ من (حفصة). وتم زواج (أم كلثوم) من (عثمان) على مثل صداق (رقية) وعلى مثل صُحْبَتِها.

في بيت (عثمان)

وعاشت رضي الله عنها ست سنواتٍ رأت فيها مجد الإسلام يبلُغُ رقمّة انتصارِهِ وشاهدت أباها - عليه الصلاة والسلام - يخرج من معركةٍ إثر معركة ويعود من غزوةٍ إثر غزوة مؤيداً مظفراً و(عثمان) معه صاحباً ومجاهداً.

المحنة

وفي شهر ذي القعدة من السنةِ السادسة خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على راحلته القصواء مع نحو ألفٍ وخمسمائةٍ من صحابته يريدون مكة لأداء العمرة وليس معهم سلاح إلا السيوف في أغمادها. وتصدت قريش لهم وأبت عليهم أن يدخلوا مكة عنوة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لصهره ذي النورين (عثمان بن عفان): إذهب إلى قريش وأخبرهم أننا لم نأت لقتال أحدٍ وإنما جئنا زواراً لهذا البيت معظمين لحرمته نحمل معنا الهدي ننحرهُ وننصرف. ووجف قلب «أم كلثوم» رضي الله عنها إشفاقاً وخشيةً على زوجها الحبيب أن تناله قريش وتغدر به كما ساورها القلق والهم وهي تنتظر أوبته بعد أن طال غيابهُ عن المدة المنتظرة. وذاع في الناس بعد طول انتظار بأن «عثمان» قد قتل فروعت وبكت وانتحبت. وأسرع رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا المسلمين إلى «بيعةِ الرضوان» وفيها بايع عن «عثمان» رضي الله عنه إن ضرب بشمالِهِ على يمينَه وقال: إنه ذهب في حاجةِ الله وحاجة رسوله.

عودة الغائب

ولم يطل الحزن بأمَ كلثوم فقد عاد «عثمان» من مهمتهِ ولم يصبهُ أذى ووقع

رسـول الله صلى الله عليـه وسلم مع قريش «صلح الحـديبية» ووقف «عمر بن الخـطاب» و«عثمان بن عفان» رضي الله عنهما في طائفةِ المعارضين الذين لم يرضوا شروط ذلك الصلح.

وحين نحر رسول الله عليه السلام الهدى وحلق رأسهُ حلق عامة الصحابة وقصر نفـر منهم «عثـمان بن عفـان» وسمعت «أم كلثـوم» أبـاهـا يقـول: رحم الله المحلقين. . . . **فعز عليها ذلك وظهرت في وجهها سمة حزن وعتاب وما أرتاحت** نفسها حتى سمعته (عليه الصلاة والسلام) يتمم: والمقصرين.

الوفـــاة

وبعد أن تم لرسول الله فتح مكة حن قلب «أم كلثوم» لزيارة قبر الأم الحنون وحدثت زوجها ووالدها بالأمر فوافقاها على ذلك لكن المنية عاجلتها. وتوفاها الله تعالى إليه في شهر شعبان سنة تسع للهجرة.

ووسدها رسول الله إلى جانب ما تبقى من رفات أختها الحبيبة «رقية» جمعتهما الحياة في بيت «عثمانة وضمهما قبر واحد. ووقف النبي صلى الله عليه وسلم على قبر ابنتيه دامع العينين مثقل القلب. رضي الله عن «أم كلثوم» بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم (حبيبة الشِعْب) وأنزلها منازل الأبرار الأطهار الصالحين من عبادِهِ.

المولود الخامس لرسول الله صلى الله عليه وسلم

الزهراء.. فاطمة البتول

من هي فاطمة الزهراء؟

إنها المرأة التي حفظت نسل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي سيدة نساء العالمين وابنة سيدة نساء أهل زمانها وهي بَضعةٌ من النبي صلى الله عليه وسلم وريحانتهُ.

إنها السيدة الكريمة الفاضلةُ فاطمةُ الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم محمد بن عبدالله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي ابن كلاب. وأُمها هي أم المؤمنين السيدة خديجةُ بنت خويلد بن أسد عبد العزي بن قصي بن كلاب.

مولدهــا

لقد صحب مولد السيدة فاطمة رضي الله عنها حادث عظيم هز أرجاء مكة من أقصاها إلى أدناها وكاد يشعلُ الحرب بين قبائلها وبطونها. وهذا الحادث يتعلق بتجديد بناء الكعبة المشرفة. فقد صح عزم قريش على تجديد بنائها لما أصابها من أمطارٍ وسيول كادت تُقوِّض بعض جدرانها. وتم البناء في جد واجتهاد واشترك في شرف البناء جميع من استطاع تقديم مالٍ أو عمل. وما أن وصلوا إلى موضع الحجر الأسود المقدس حتى اختلفوا في المكانِ الذي يضعونهُ فيه. وكاد القتال يقع فقد جردت القبائل السيوف أربع ليالٍ استعداداً للقتال. وحمل أشرافُ مكة هم الحرب والقتال وأخذوا يفكرون في حل لتلك الفتنة التى أثيرت والسيوف التي جردت. وبعد تفكير تقدم (أُمية بن المغيرة المخزومي) وهو من شيوخهم العقلاء فقال لهم:

(يا معشر قريش إجعلوا بينكم حكماً يقضي بينكم فيما تختلفون فيه وهو أول من يدخل من باب هذا المسجد الحرام فقبل الجميع وقالوا: (رضينا وسلمنا). وانتظر الجميع وهم يتطلعون إلى الباب وبينما هم ينتظرون إذ أقبل عليهم محمد الأمين صلى الله عليه وسلم بطلعتهِ البهيهة وخطواته المتزنة وهو يومئذٍ في الخامسةِ والثلاثين من عمره تقريباً. فما أن رأوه حتى فرحوا وصاحوا: (هذا الأمين محمد بن عبدالله بن عبد المطلب رضينا بحكمه). واستمع الأمين لقِصةِ خلافهم ثم طلبوا منه أن يحكم بينهم. ولبث الصادق الأمين برهة ثم بسط رداءَهُ ووضع الحجر الأسود فيه ثم قال: ليأخذ كبير كل قبيلةٍ بناحيةٍ من الثوب ثم ارفعوه جميعاً فحملوهُ حتى وصلوا إلى مكانه فوضعه الأمين محمد صلى الله عليه وسلم بيده الشريفة في المكان الذي اختارهُ له. وانتشر الخبر سريعاً بين أنحاء مكة فاستبشر الناس وفرحوا بحل تلك المشكلةِ وسروا بحكمة الأمين محمد صلى الله عليه وسلم. وانطلقت قرائح العرب بالشعر الذي يصف ذلك الحادث العظيم. وقد أشار أبو وهب المخزومي الشاعر العربي إلى قضية التحكيم حين قال:

تَشاجرتِ الأحياءُ في فَضلِ خُطةٍ
جَرَتْ بينهم بالنَّحس من بعدِ أسعَدِ
تلاقوا بها بالبُغض بعد مودةٍ
وأوقدَ ناراً بينهم شَرُ موقدِ
فلما رأينا الأمر قد جَدّ جِدّهُ
ولم يبقَ شيءُ غيرُ سَلِّ المُهنّدِ
رضينا وقلنا العَدل أول طالع
يجيء من البطحاء على غير موعِدِ
ففاجَأنا هذا الأمينُ مُحمدُ
فقلنا رضينا بالأمينِ محمدٍ.

فقد شعرت مكةُ أن النبي محمداً صلى الله عليه وسلم قضي على خلافهم وأشرك رؤساء القبائل جميعاً في شرف حمل الحجر الأسود المقدس. فكأن القبائل كلها قد

حملتهُ وهذا كان أحد الأدلة على رجاحةِ عقله وحسن تصرفه صلى الله عليه وسلم.

وعـاد الأمينُ محمدُ صلى الله عليه وسلم إلى منزله سعيداً بحل هذه القضية التى شغلت بال كبار قريش. وعند دخوله تلقى نبأ مولد ابنتِهِ الرابعةِ فتهلل له وابتهج به ثم دخـل مسرعاً على زوجتِهِ الكريمةِ باش الأسارير طلق المحيًا فهنأها بسلامتها وفرح بميلادِ الطفلة الجميلة فقد ولدت في يومٍ كريم أغمدت فيه سيوف الحرب بين قبائل مكة وانفضت بينهم مشكلةٌ عظيمة. وسماها النبي صلى الله عليه وسلم فاطمة ولقبها الزهراء. وسعد الزوجان بمولد فاطمة الزهراء وكانت الإبنة الرابعة ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها جمال الطلعةِ وتوسم فيها البركةَ واليمن والسعادة.

وجـاءت الابنـة الكريمة شديدة الشبه بأبيها فجعلها ذلك أثيرةً عن الأبِ والام. وظلت الزهراء محبوبة من أبيها وأمها حتى آخر لحظات حياتها.

نشـأتها

تمتعت السيدة فاطمة بحب عظيمٍ من أبويها وأخواتها وبخاصة أُختها زينب رضي الله عنها فقد كانت تدللها وتلاطفها وتلاعبها. وشبت فاطمة في بيت نبوي رحيم يكـلأهُا بعين رعايتهِ ويسهر على راحتها. فأقبلت على حياتها ببراءةٍ عظيمةٍ تأخُذُ قسطاً وافراً من الأدب والحنان والتوجيهِ المحمدي السديد. ثم تزوجت زينب التي طالما عنيت بشئونها وأُمورها ففارقتها إلى بيت زوجها. وكذلك تزوجت أُختها رُقية وأُختها أم كلثوم فزاد ذلك من شعورها بالوحدةِ القاسيةِ. روى أنها بكت حين تزوجت رقية وأم كلثوم فلما سألتها أُمها: ما يبكيك يا فاطمة؟ فأجابت لا تدعي أحداً ينتزعني منكِ ومن أبي فلستُ أطيق فراقكما! فتبسمت الأم في حنانٍ ورفقٍ وقالت لها: لن تتركينا إلا إذا أردتِ. وهكذا زاد تعلق الزهراء وشُغِفت بهما حُباً. ولعل صغر سنها ساعدها على الخروج مع أبيها في أنحاء مكة ولقد نمت السيد فاطمة رضي الله عنها بين حُبِّ أبيها العظيم وحنان أُمها الفياض ورأت مدى ما يتمتع به أبوها من الخلقِ النبوي العظيم إذ أدبهُ ربه فأحسن تأديبه وهذبه مولاهُ فأحسن تهذيبه.

(ألم يجدك يتيماً فآوى * ووجددك ضالاً فهدى * ووجدك عائلا فأغنى *)
ـ الضحى ـ

كما تأثرت السيدة فاطمة بما كانت تتمتع به أُمها السيد خديجة رضي الله عنها من صفاتٍ زكية وسجايا حميدةٍ. فحاولت أن تنشأ على الخلق الكريم متخذةً أباها رسول الله عليه الصلاة والسلام المثل الأعلى لها والقدوةً الحسنةً في جميع تصرفاتها. (لقد كان لكم في رسول الله اسوةٌ حسنةٌ لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً)
ـ الأحزاب ـ

وبذلك نشأت السيدة فاطمة على العفة الكاملةِ وعزة النفس وحب الخير وعلى حسنِ الخلقِ فهي تستقي من تعاليم أبيها نبي الأمةِ ورسول الرحمة خير مرشد وأعظم مرب وهاد إلى الطريق المستقيم.

مســؤولية مبكــرة

وما كادت تبلغ الزهراء الخامسةً من عمرها حتى شاهدت أباها العظيم محمداً عليه الصلاة والسلام قد أحب الخلوةَ وأخذ يتعبد في غار حراء ثم نزل عليه الوحي بهذه الآيات المحكمات:

(إقرأ باسمِ ربك الذي خلق * خلق الإنسان من علق * إقرأُ وربك الأكرم * الذي علم بالقلم * علم الإنسان ما لم يعلم *) ـ العلق ـ

وأعلن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قد أرسلهُ الله للناس شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنِهِ وسراجاً منيراً. وأخذت آيات القرآن تتوالى:

(* يا أيها المدثر قم فأنذر * وربك فكبر * وثيابك فطهر * والرجز فاهجر * ولا تمنن تستكثر * ولربك فاصبر). ـ المدثر ـ

وأخذتِ السيدة فاطمةُ رضي الله عنها تشاهد هذا التطور التاريخي الخالد في حياةِ أبيها الذي أصبح مسئولاً مسئوليةً تاريخيةً عن أُمةٍ ذات قيادةٍ ورسالةٍ وعن حضارةٍ خاتمة لحضارات عالميةِ المبادىء إنسانيةِ التعاليم. وإذن فلابد أن تحس السيدة فاطمة الزهراء بهذا الجو الجديد في بيت أبيها جو الوحي الشديد وأعباء الدعوة الثقال

ومناهضةِ كفار قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم ظلماً وعدوانا. وكم عانت الـزهـراء من مكائد الكفار لأبيها العظيم وكم تمنت لو استطاعت أن تفدي أباها بحياتها وأن تمنع عنه أذى قريش ولكن أنى لها ذلك وهي في عمرها الصغير وإهابها الغضِّ. .

ها هي ذي فاطمة الزهراء ترى امها خديجة تقف بجوار أبيها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن نزل عليه الوحي في غار حراء فدخل عليها وهو يرجف فؤاده فتقول له السيدة خديجة:

والله ما يخزيـك الله أبـداً. إنك لتصل الرحم وتحمل الْكَلَّ وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق ثم تقف السيدة خديجة نفسها وتقدم مالها وتشارك زوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل ما يواجهُهُ من أحداث عظام وخـطوبٍ جسام. هذا الموقف الخالد من السيدة خديجة لا يمر مروراً عابراً على السيـدة فاطمـة وهي في عمـرهـا الصغـير حين ذلك ولكنها تفكر وتتأمل وترقب الأحداث. إنها المسئولية المبكرة التي يلقيها القدر على السيدة فاطمة الزهراء المسلمة الخالدة التي شاء الله لها ـ ونعم ما شاء ـ أن تنطق بكلمةِ التوحيد وهي في سنواتها الأولى، وأن تنشأ طاهرة مطهرة، بعيدة عن رجس الأوثان متعبدةً بدين الاسلام ذلك الدين الحنيف الذي اختاره الله لعباده. (فأقم وجهك للدين حنيفاً * فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم) ـ الروم ـ

وأخذ النبي صلى الله عليه وسلم يدعو قومه إلى دين الإسلام في مضاءِ عزمٍ وقوةِ إيمان لا يبالي بأذى الكفار وتكذيبهم لانه يجد في آيات القرآن تثبيتاً لفؤادِهِ وتطميناً لروعه ولأنه يجد من زوجه الحبيبة إيماناً كبيراً وتثبيتاً عظيماً يعينه على أداء رسالته التي اصطفاهُ الله تبارك وتعالى للنهوض بها وتبليغها للناس. وقد ذكرنا أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ يتعرض هو وأصحابه يوماً بعد يومٍ لاضطهاد قريش وأذاهم، ولاقت السيدة فاطمة آلام تكذيب الكفار لأبيها الذي أحبتهُ بكل ذرةٍ في كيانها. وكان ذروة ما قاسته من آلام منذ بداية الدعوة ذلك الحصار الشديد الذي حوصر فيه

المسلمون مع بني هاشم في شِعْب أبي طالب. فقد أثر الحصار والجوع والألم في صحتها فبقيت طوال حياتها تعاني من ضعف البنية وجهد البلاء.

حزن أليم

وشهدت الزهراء في حداثةِ سنها فجيعة كبرى ملأت نفسها حزناً وألماً وأسىً. وذلك أنها ما كادت تخرج من محنة الحصار المهلك حتى فوجئت بمرض أمها ولزومها الفراش فانخلع قلبها لتلك المصيبة التي تزحف نحو أطهر الأمهات وأكرمهن. ولم تلبث السيدة خديجة رضي الله عنها أن فارقت الحياة فاشتد الحزن على الزهراء وأخواتها. كما أحس رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحزن لفقد زوجته الغالية الوفية.

السيدة فاطمة بعد وفاة أمها

كانت فترة مكة الثلاثة عشر عاماً التي سبقت الهجرة قاسيةً بحق على المسلمين بصفةٍ عامةٍ وعلى بيت النبي صلى الله عليه وسلم بصفةٍ خاصةٍ. ولقد شهدت السيدة فاطمة من الأحداث في تِلكُم السنوات الشيء الكثير. شهدت هجرة أُختها السيدة رقية مع زوجها سيدنا عثمان وكثيرٍ من المسلمين إلى الحبشةِ. وشهدت أباها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد وضع عليه المشركون من الأذى ما جلعها تبكي وتشهق حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا بنيةُ لا تبكِ فان الله مانع أباك.

وشهدت نزول آيات القرآن وكانت تسعد أيَّما سعادةٍ وهي تستمع إلى هذا الكتاب الذي أُحكمت آياتهُ من فم أبيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يرتل القرآن ترتيلا. ووجدت السيدة فاطمة نفسها بعد وفاة أُمها أمام مسئوليات كبيرةٍ وضخمةٍ نحو أبيها الرسول العظيم وهو يمر بظروفٍ قاسيةٍ في سبيل الدعوةِ الاسلامية. فضاعفت الجهد وتحملت الأحداث في صبرٍ وصابرت ورابطت واحتسبت أجرها عند الله عز وجل ووقفت بجوار أبيها لتقدم له بعض العوض عن

أمها أغلى الامهات واكرم الزوجات. وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم لبنتهِ فاطمةَ الزهراء من الحب والحنان والرعاية والاشفاق الزاد العظيم. وإن فاطمة في حاجةٍ إلى هذا الحب وإلى هذه الرعاية وأي قلب أكبر من قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ وأي حنانٍ أعظم من حنانه؟

في طريق الهجرة

كثر أذى الكفار للذين آمنوا بدين الاسلام وامتد أذاهم للنبي صلى الله عليه وسلم وبخاصةٍ بعد وفاة عمه أبي طالب وزوجه السيدة خديجة رضي الله عنها. ولكن دعوة الاسلام أخذت تنتشر في أرجاء مكة بل ووصلت إلى يثرب حيث آمن هناك كثير من المسلمين وبايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيعة العقبة الأولى والثانية على أن يحفظوه ويحموهُ مما يحمون منه أنفسهم وأموالهم وأعراضهم. وأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابهِ بالهجرة إلى المدينة المنورة. وكان للإمام علي كرم الله وجهه دور عظيم في هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم مع صحابه الصديق أبي بكر رضي الله عنه.

ثم أرسل الرسول صلوات الله وتسليماتهُ عليه إلى مكة صحابياً جليلاً وأميناً لاحضار السيدة فاطمة مع أختها أم كلثوم، وما كان أعظم فرح الزهراء بلقاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان فرحه بها كذلك عظيماً. وبهذه الرحلة ودعت الزهراء مكة بلدها الحبيب الذي شهدت فيه طفولتها الباكرة وشبابها الغض فقد هاجرت في السنة الثالثة عشرة للبعثة النبوية وهي في عامها الثامن عشر، ولم تر مكة بعد ذلك إلا في العام الثامن من الهجرة النبوية أي عندما فتحت مكة.

زواج كريم

وبعد زواج رسول الله صلى الله عليه وسلم من السيدة عائشة رضي الله عنها تقدم كبار الصحابة لخطبة الزهراء بعد أن كانوا يحجمون عن طلب يدها لوجودها

مع أبيها وخدمتها إياهُ. فخطب الزهراء أبو بكرٍ وعمر لكن الرسول صلى الله عليه وسلم اعتذر في رفقٍ بالغٍ. فأشار عمر على عليّ كرم الله وجهه شرف هذه المصاهرة ولكن بعد أن رد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر وعمر ترى هل يقبله هو؟ ذلك سؤال جال في خاطر الامام عليّ كرم الله وجههُ. ولكن الفاروق رضي الله عنه ذكر له سبقهِ إلى الاسلام وقرابتهُ من النبي صلى الله عليه وسلم ومكانتهُ في قلبِ رسول الله حتى أقنعه بأنه أهل لها. وذهب الامام عليّ رضي الله عنه وجلس بقرب النبي صلى الله عليه وسلم على استحياء لا يذكر سبب مجيئِهِ فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما حاجةُ ابن أبي طالب؟ وفي صوت خافتٍ وحياء أجاب كرم الله وجههُ: ذكرت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم. فأجاب صلى الله عليه وسلم وهو متهلل الوجه: مرحباً وأهلاً. فانصرف الامام علي وما إن سأله بعض من يعلم الأمر عن نتيجةِ طلبهِ حتى أجابهم: تحدثت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في الأمر فقال لي: مرحباً وأهلاً. فقالوا له: يكفيك من رسول الله أحداهما. وفي الغد عاود الامام علي كرم الله وجهه فسألهُ النبي صلى الله عليه وسلم: وهل عندك شيءٌ؟ أجاب عليٌّ: لا يا رسول الله. وسأله النبي: فأين درعك التي أعطيتك يوم كذا؟ فأجاب فرحاً: هي عندي يا رسول الله. فجاءه بها فأمرهُ صلى الله عليه وسلم ببيعها ليجهز العروس بثمنها. واشتراها منه الصحابي العظيم عثمان بن عفانٍ رضي الله عنه بأربعمائةٍ وسبعين درهماً.

فسلم الامام علي الثمن لرسول الله صلى الله عليه وسلم فدفع جزءاً منه إلى بلال بن رباح ليشتري طيباً وعطراً ودفع الباقي إلى أم سلمة لتشتري جهاز العروس. ثم نظر الرسول صلى الله عليه وسلم إلى أنس وقال له: انطلق وادع لي ابا بكر وعمر وعثمان وطلحَةَ والزبير وبعدتهم من الأنصار. وقام الرسول صلى الله عليه وسلم ليخبر ابنَتَهُ الكريمة بخبر خطبة الامام علي كرم الله وجهه لها فقال لها: يا فاطمة ان عليا يذكرك. فصمتت رضي الله عنها حياءً. وكان ذلك علامة القبول عند الزهراء. ثم خرج الرسول الكريم فوجد كبار الصحابة قد حضروا فقال: (الحمد لله المحمود

بنعمتهِ المعبود بقدرتهِ المطاع لسلطانهِ المهروب إليه من عذابه النافذ امره في أرضِهِ وسمائه الذي خلق الخلق بقدرته وأعزهم بدينه وأكرمهم بنبيهِ محمد صلى الله عليه وسلم. إن الله عز وجل جعل المصاهر نسباً لاحقاً وأمراً مفترضاً وحكماً عادلاً وخيراً جامعاً أوشج به الأرحام وألزمها الأنام فقال الله عز وجل ؟وهو الذي خلق من الماء بشراً فجعلهُ نسباً وصهراً وكان ربك قديراً وأمر الله يجري إلى قضائهِ وقضاؤُه يجري إلى قدره ولكل أجلٍ كتاب يمحو الله ما يشاء ويُثبت وعنده أم الكتاب. ثم إن الله تعالى أمرني أن أزوجَ (فاطمة) من (عليّ) وأشهدكم أني زوجت (فاطمة) من (عليّ) على أربعمائةِ مثقال فضةٍ إن رضى بذلك على السنةِ القائمةِ والفريضة الواجبة فجمع الله شملهما وبارك لهما وأطاب نسلهما وجعل نسلهما **مفاتيح الرحمة ومعادن الحكمة وأمن الأمُةِ**، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم)، ثم أمر صلى الله عليه وسلم بطبقٍ فيه تمر إلى ضيوفهِ الكرام وقال لهم: تخاطفوا. وبينما هم كذلك قال لهم رسول الله: انتبهوا. ونظر القوم فاذا الامام عليٌّ مقبلٌ نحوهم. فتبسم إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له: يا علي! إن الله أمرني أن أزوجك فاطمة وإني زوجتكها على أربعمائة مثقال فضةٍ، فقال علي كرم الله وجهه: رضيت يا رسول الله! ثم إن علياً خر ساجداً شكراً لله فلما رفع رأسه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله لكما وعليكما وأسعد جدكما. وأخرج منكما الكثير الطيب. لقد كانت دعوةً مستجابةً فانها دعوةُ نبي بل دعوة سيّد الأنبياء فو الله لقد أخرج منهما الكثير الطيب.

وبهذا عقد قران الامام علي على الزهراء رضي الله عنهما أمام جمعٍ من كرامٍ الصحابةِ. وبات الامام علي قرير العين بزواجِهِ علي ابنةِ أعظم الخلقِ أجمعين سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم. وفي ليلةِ زفاف الزهراء إلى علي أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم السيدة أم سلمة أن تمضي بالعروس إلى دار الامام عليّ كرم الله وجهه التي جهزها لسكناهما وأن ينتظراه هناك. وصلّي الرسول صلاة العشاء ثم ذهب إلى عليّ كرم الله وجهه. وهناك دعا بماءٍ فتوضؤوا منه ثم دعا بهذا الدعاء: «اللهم بارك فيهما وبارك عليهما وبارك لهما في نسلهما» ثم أوصى ابنتهُ بأن تكرم زوجها وأوصى الامام علياً كرم الله وجهه بهذه الوصية: يا علي لا تغضب! وإذا غضبت

فاقعد واذكر قدرة الله تعالى على العباد وحلمه عنهم وإذا قيل لك: اتق الله فاترك غضبك عنك وارجع لحلمك. وفرح المسلمون بزواج الزهراء من الامام عليّ كرم الله وجهه وابتهجوا. فيروى أن الحمزة عم النبي صلى الله عليه وسلم سر بهذا الزواج المبارك فجاء بكبشين وذبحهما وأطعم منهما أهل المدينةِ.

الامام علي الزوج

ولكي نتحدث عن زواج الزهراء من الامام عليّ كرم الله وجهه نحب أن نضع بين يدي القاريء العزيز ترجمةً مختصرة جداً عن الامام عليّ كرم الله وجههُ الذي فاز بمصاهرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان زوجاً لأحب بناته إليه.

إنه الامام عليّ بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم ابن عبد مناف بن قصي بن كلاب. وهو ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم. وأمه فاطمةُ بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف بن قصي ابن كلاب. وهي أول هاشميةٍ ولدت لهاشمي. فهو يجمع الشرف من أطرافهِ وهو أحد العشرة المبشرين بالجنةِ وأحد الستةِ اصحاب الشورى وفيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من كنت مولاه فعلي مولاهُ ثم قال: لا يحبك إلا مؤمنٌ ولا يبغضك إلا منافقٌ. قال عنه ابو نعيم في حلية الاولياء يُعَرَّفُ به هو سيد القوم، محب المشهود ومحبوب المعبود باب مدينةِ العلم والعلومِ. رأس المخاطبات ومستنبط الاشارات. راية المهتدين ونور المطيعين وولي المتقين وإمام العادلين. أقدمهم إجابةً وإيماناً وأقومهم قضيةً وايقاناً أعظمهم حلماً وأفورهم علمًا. زينةُ العارفين وقدوة المتقين. المنبيءُ عن حقائق التوحيد والمشير إلى لوامع التفريد. صاحب القلب العقول واللسان السؤول والاذُن الواعي والعهد الوافي. دفع الناكثين ووضع القاسطين ودمغ المارقين. ذلك هو الامام علي بن أبي طالبِ.

ولد الامام علي قبل البعثة بعشر سنين وتربى في بيت النبي صلى الله عليه وسلم فتفتحت أكمامهُ ومداركهُ على طهر النبوةِ وعظمتها وصدق اللسان وقوة الجنان وفصاحةِ البيانِ. وإذن فقد تشربت أخلاقه بأخلاق النبي محمد صلى الله عليه وسلم. وعندما بعث النبي الكريم كان الامام عليّ أوّل **من اقتبس من ذلك النور**

الالهي فانشرح صدره لهذه الـدعـوة الكريمةِ وكان أوّل عربي وأعجمي صلّى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم. ومنذ بدايةِ الدعوةِ ظهرت مخايل الفطنةِ والذكاء على الامـام عليّ كرم الله وجهـهُ وقام بدورٍ بطولي في يوم الهجرة وكان في طليعة المجاهدين في سبيل الله بعد الهجرة إلى المدينةِ وكان معه لواء رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل زحفٍ. كان له الدور البطولي في غزوة بدر الكبرى وفي غزوة أحدٍ وهو القاتل لعمرو بن ود في غزوة الخندق وهو صاحب الرايةِ في غزوة خيبر. كان رضي الله عنهُ يلقب بقاضي الأئمةِ وفارس الاسلام. وأصبح بعد زواجِهِ من الزهراء رضي الله عنها والد الحسنين رضي الله عنهما ووالد زينب بطلة كربلاء. وكان كرم الله وجههُ في عهد الخلفاءِ محبوباً مقرباً حتى كان الفاروق عمر بن الخطاب يستشيره فيما يشكل عليه من القضايا العظيمةِ وكان يقول قضيةٌ ولا أبا حسنٍ لها. وقد تشرف الامام علي بهذهِ الكلمةِ المحمديةِ: (جعل الله ذرية كل نبي من صلبه وجعل ذريتي من صلب عليّ) وكان الامام علي مثالاً نادراً للزوجِ الوفي الذي يحرص على حسن الرعايةِ وكريم العنايةِ ببنت رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه ترجمةٌ موجزةٌ للإمام عليّ ابن أبي طالب كرم الله وجهه ورضي الله عنه وعن جميع أهل بيت رسول الله الكرام الاطهار.

ذريــة مبـاركة

مر عام على زواج الامام علي رضي الله عنه وكرم الله وجههُ جاءَ بعده الحفيد الأول لرسول الله صلى الله عليه وسلم ففرح به النبي صلى الله عليه وسلم فرحاً كبيراً وحنكه بنفسِهِ وسماه الحسن. ثم ولد بعده سبط رسول الله الامام الحسين أبو الشهداء وبطل كربلاء. ومرت الأيام ثم ولدت السيدة الكريمة فاطمة ولدها الثالث وإسمه محسناً وتوفي وهو صغير. ثم مَنَّ الله على هذا البيت الكريم بزهرة بني هاشمٍ السيدة زينب بنت الامام عليّ. وقد تزوجت السيدة زينب بنت الامام علي رضي الله عنه وكرم وجههُ من ابن عمها قُطب السخاء عبدالله بن جعفر الطيار. وقد شهدت رضي الله عنها في العام الحادي والستين من الهجرة مأساة كربلاء وقامت بدورٍ عظيمٍ

في حفظ نسل الامام الحسين وذريةِ النبي صلى الله عليه وسلم. ثم رزقت السيدة فاطمـة بزهرةٍ أخرى وأسمتها أم كلثوم تيمناً بخالةِ الوليدة. وقد تزوجت السيدة أم كلثوم بنت الامام عليّ من الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأنجبت منه زيداً ورقية.

أهـل البيت

لما نزلت الآية الكريمة: (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويـطهـركم تطهـيراً). كان صلى الله عليه وسلم عند أم سلمة فدعا علياً وفاطمة والحسن والحسين فغطاهم بكساءٍ ثم قال: (اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي أللهم أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا). قالها ثلاث مرات ثم قال: (أللهم أجعل صلواتك وبركاتك على محمدٍ كما جعلتها على آل ابراهيم إنك حميدٌ مجيدٌ).

حب النبي صلى الله عليه وسلم لابنتـه الزهـراء

تمتعت الزهراء بحب أبيها سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم لها فقد كان يحبها ويُغْدِقُ عليها الحنان الصادق الذي يملأ نفس الابنةِ الأثيرةِ والجديرة بالحب الكبير والرضى والحبور. وكان النبي صلى الله عليه وسلم يترجم عن حبه لابنته الكريمة في أشد المواقف وأدق الأمور. ومع هذا الحب فقد بين رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه لابد من العمل والتزود من التقوى فلقد قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً فنادى: (يا معشر قريشٍ اشتروا أنفسكم لا أغني عنكم من الله شيئاً).

(يا بني عبد منافٍ لا أغني عنكم من الله شيئاً).

يا عباس بن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئاً).

(يا صفيةُ بنت عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئاً).

يا فاطمة بنت محمد سليني ما شئت من مالي لا أغني عنك من الله شيئاً). ومرة

أخرى يستشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن حبهُ لريحانته الحبيبة لا يمنعه من إقامة حدود الله بين الناس فقد جاء في كتب السيرة أن أمرأةً من قريش قد سرقت ففـزع قومهـا إلى أسامة بن زيد حبّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن حبه يستشفعون به لدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوجه أسامةُ الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلمه مستشفعاً أن لا يقطع يد المرأة السارقة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مغضباً: أتكلمني في حدٍّ من حدود الله!؟ ثم قام خطيباً في الناس فأثنى على الله بما هو أهله ثم قال: أمّا بعد فانمّا أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد والذي نفس محمد بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها).

ولقد عبر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حبهِ لابنتهِ الكريمةِ السيدة فاطمة حين قال لها مـرةً: (يا فاطمة إن الله يرضى لرضاك ويغضب لغضبك). ومرة قال رسـول الله صلى الله عليه وسلم (خير نساء العالمين أربعُ: مريم وآسيةُ وخديجة وفاطمة) وعن أبي ثعلبة قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قدم من غزوٍ أو سفـرٍ بدأ بالمسجـد فيصلي ركعتين ثم يزور بنته فاطمة رضي الله عنها ثم يأتي أزواجه رضوان الله عليهن) وعن المسور بن مخرمة انه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر يقول: (فاطمة بضعةٌ منى يؤذيني ما آذاها ويريبُني مارابها) هذه هي المنزلة الرفيعة التي وصلت إليها المسلمة الخالدة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وعند زوجها الامام عليّ بل وعند سائر المسلمين والمسلمات.

رسالة المرأة المسلمة

ضربت لنـا السيدة فاطمة الزهراء مثلاً أعلى في حياتها الزوجية وفي حسن علاقاتها مع جاراتها وقريباتها وفي القيام برسالة الأمومة وتقديم التوجيهات التربويةِ الاسلاميةِ لأولادها ـ وهذا طبعاً مع مراعاة الواجبات المنزلية التي لا تكاد تنتهي وفي نفس الوقت تحرص على رضوان الله وطاعته وطاعة رسوله فتصلي الصلاة في وقتها وتقدم الكثير من جهدها ومالها في سبيل الله وتصدق الحديث وتتخلق بأخلاق رسو ل

الله صلى الله عليه وسلم وبذلك كانت قدوةً صالحةً للمرأة المسلمة الفقيهة المجاهدة المربيةِ في كل زمانٍ ومكان. تقول السيدة عائشةُ رضي الله عنها. (وما رأيت أحداً من خلق الله أشبه حديثاً ومشياً برسول الله صلى الله عليه وسلم من فاطمة). وتقول أيضاً: (ما رأيت أفضل من فاطمة).

وكانت السيدة فاطمة إذا دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ بيدها وأجلسها بجواره ورحب بها أجل ترحيب.

حياة حافلة بالأحداث

مرت السيدة فاطمة رضي الله عنها بأحداثٍ كثيرةٍ ومتشابة وعلى سبيل المثال نرى فاطمة تواجه وفاة أُختها السيدة رقية زوجة عثمان بن عفانٍ وصاحبةِ الهجرتين فتحزن ويشتد حزنها. وتسمع بانتصار المسلمين في غزوةِ بدرٍ الكبرى فتحس بمشاعر البهجةِ والسرور. ولا شك أن صفحات الجهاد والبطولة التي سطرها زوجها الامام علي كرم الله وجههُ كانت تجد مكانها الرحب الفسيح في قلب السيد فاطمة. وكانت رعاية رسول الله صلى الله عليه وسلم للحسن والحسين تملء نفسها بالغبطة والارتياح. ولكن ساعات الصفاء لا تدوم. فها هي المنية تختطف أختها الثانية زينب رضي الله عنها في السنة الثامنة للهجرة ثم تختطف أُختها الثالثة أم كلثوم رضي الله عنها في السنة التاسعة للهجرة. ولكنها لا تستسلم للأحزان إنها الصابرة المصابرة المرابطة.

بعد حجة الوداع

وحج رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع وأرسى قواعد الإسلام وأكمل الله الدين ونزل عليه قوله تعالى: (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً). ثم مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمعت الزهراء بمرض والدها صلى الله عليه وسلم فهرعت لتوها لتطمئن عليه فلما

دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم هش لها وبش ثم أخذ بيدها فأجلسها بجانبه. ثم أسر صلى الله عليه وسلم حديثاً فبكت ثم أسر لها حديثاً فضحكت فقالت السيدة عائشة رضي الله عنها: (ما رأيت كاليوم فرحاً أقرب إلى الحزن) ثم سألت: (يا فاطمة أخبريني ما الذي جعلك تضحكين وتبكين؟) وأجابت السيدة فاطمة رضي الله عنها: (ما كنت لأفشي على رسول الله سره). ولكن بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم طلبت منها السيدة عائشة أن تطلعها على ما أسره لها النبي صلى الله عليه وسلم فقالت لها: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن جبيريل كان يدارسني القرآن في كل سنة مرة وإنه دارسني هذا العام مرتين وما أراه إلا حضر أجلي). قالت: فبكيت ثم قال لي: وإنك أول أهلي لحوقاً بي ونعم السلف أنا لك) فضحكت، واشتد الوجع على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاشتد حزن السيد فاطمة على أجلّ الآباء وأكرم الأنبياء. ثم انتقل الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى فما كان من السيدة فاطمة إلا أن رددت في أسى ولوعةٍ:

أبتاه يا أبتاه يا أبتاه

أجاب رباً دعاهُ إلى جبريل ننعاه

جنة الفردوس مأواه من ربه ما أدناه

وفاض الحزن بالزهراء فجعلت تبكي بكاءً مراً.

وحزن الامامُ علي حُزناً مريراً وهو يرى نبيهُ الكريم وابن عمه الحبيب ووالد زوجته الكريمة ينتقل إلى الرفيق الأعلى فبكاه بكاءً حاراً ثم رثاه قائلاً. (بأبي أنت وأُمّي يا رسول الله لقد انقطع بموتك ما لم ينقطع بموت غيرك من الأنبياء، وأخبار السماء خُصصت حتى صرت مُسلياً عمن سواك، وعممت حتى صار الناس فيك سواء، ولولا انّك امرت بالصبر، ونهيت عن الجزع، لأنفدنا عليك ماء الشئون، ولكان الداءُ مُماطِلاً، والكمد مُحالفاً، وقلّا لك، ولكنه مَا لا يملك رده، ولا يستطاع دَفعهُ! بأبي انت وأُمّي أذكرنا عندَ ربِّك وأجعلنا من بَالِكَ). وبكت الزهراء، بل وبكى المسلمون جميعاً نبيهم ورسُولَهم محمداً صلى الله عليه وسلم وذكروا قول الله

تبارك وتعالى: (وما مُحمدٌ إلا رسول قد خلت من قبله الرُسُل).
وقوله سبحانه: (وما جعلنا لبشرٍ من قبلك الخلد افإنْ مِتَّ فهم الخالدون).

وفاة السيدة فاطمة

بَشَّر الرسول صلى الله عليه وسلم ابنَتَهُ الزهراء بأنها أولُ أهلِهِ لحوقاً به. وقد وَجَدَت في هذه البُشرى بعض السلوى. ومضت الأيام بالزهراء وهي تشرف على بيتها وترعى شئون زوجها وتُكمِلُ رسالتها نحو اولادها. ومَضَى على وفاةِ رسول الله صلى الله عليه وسلم حوالي ستة أشهر ثم مرضت الزهراء. وانتقلت السيدةُ فاطمة إلى جوار ربها. وصعدت روحها الطاهرة إلى بارئها حيث التقت بروح ابيها وامها واخواتها في عليين. وحلَّقت مع ارواح النبيين والصديقين والشهداء في الملأ الأعلى. وصلى عليها زوجها الامام علي والعباس رضي الله عنهما ثم دفنت في البقيع في ليلة الثلاثاء لثلاثٍ خلوْنَ من شهر رمضان سنة احدى عشرة للهجرة وهي ابنةُ تسع وعشرين سنة، رحم الله الزهراء ريحانة سيد الانبياء، وزوجة امام الأتقياء، وأم الحسن والحسين أبي الشهداء، وأم زينب بطلة كربلاء. «رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت انه حميد مجيد».

عبـــد اللـــه

المولود السادس لرسول الله
صلى الله عليه وسلم

ولد عبدالله عليه السلام بمكة المكرمة بعد النبوة وكان النبي صلى الله عليه وسلم بلغ من العمر أكثر من الاربعين، وكان يقال له الطيب ويقال له الطاهر، فكـان عبـدالله آخـر اولاد النبي صلى الله عليـه وسلم ومسك الختام من السيدة «خديجة» أم المؤمنين رضي الله عنها عاش عبدالله بعد ولادته بين ابوين كريمين وبعد انقطاع الولد عنها اكثر من عشر سنوات وبعد ان فرحا النبي صلى الله عليه وسلم وزوجته السيدة «خديجة» أم المؤمنين رضي الله عنها بمجيئه عق عنه بشاتين وحلق رأسه وتصدق بزنة شعره فضة على المساكين وأمر بشعره فدفن في الارض، وبعد هذه الفـرحـة الكـبرى ما هي الا فترة وجيزة ومات عبدالله بمكة المكرمة ودفن فيها، وبموت عبدالله نزل قول الله تعالى في القرآن الكريم «إن شانئك هو الابتر» ويروي ان العاص بن وائل اجتمع هو ورسول الله صلى الله عليه وسلم في باب من أبواب المسجد بعد موت ابنه عبدالله فتحدثا وصناديد قريش جلوس في المسجد فلما دخل العاص المسجد قالوا له من ذا الذي كنت تتحدث معه قال ذاك الابتر يعني النبي صلى الله عليه وسلم والابتر عند العرب هو الذي ليس عنده ذكور، وقد كان توفي جميع اولاده صلى الله عليه وسلم من السيدة خديجة رضي الله عنها أي الذكور، فرد الله سبحانه وتعالى عليه وتولى جوابه بقوله «إن شانئك هو الابتر» أي عدوك ومبغضك هو الذليل الحقير أي باغضك هو الابتر المقطوع عن كل خير أو المقطوع رَحِمه بينه وبين ولده لان الاسلام حجزهم عنه فلا توارث، فلا يقال له اولاد ذكور وهو له عمرو وهشام رضي الله تعالى عنهما، ولقد صدق الله فإن رسوله ليس ابتراً لأن كل من يولد الى يوم القيام من المؤمنين فهم اولاد النبي صلى الله عليه وسلم، ان الايمان والحق والخير لا يمكن ان يكون ابتر، فهو ممتد الفروع عميق الجزور، وإنما الكفر والباطل والشر هو الابتر مهما ترعرع وزها وتجبر فالسلام عليك يا عبدالله في الأولين والآخرين.

ابراهيم عليه السلام

المولود السابع والآخير لرسول الله

صلى الله عليه وسلم

ولد ابراهيم عليه السلام في ذي الحجة سنة ثمان من الهجرة، وقد روى ان (مارية) رضي الله عنها لما حملت بإبراهيم أتى جبريل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له السلام عليك يا أبا ابراهيم، إن الله قد وهب لك غلاماً من أم ولدك «مارية» وأمرك ان تسميه ابراهيم فبارك الله لك فيه وجعله قرة عين لك في الدنيا والآخرة، اما ام ابراهيم فهي مارية بنت شمعون ابراهيم، وهي القبطية المصرية التي أهداها المقوقس صاحب الاسكندرية الى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأهدى معها أختها شرين، فوهب النبي صلى الله عليه وسلم شرين لحسان بن ثابت، فولدت له ابنه عبدالرحمن، واحب النبي صلى الله عليه وسلم «مارية» وكان معجباً بها لانها كانت بيضاء جميلة، ولما ولد ابراهيم عليه السلام عق عنه النبي صلى الله عليه وسلم بكبشين يوم سابعه وحلق رأسه وتصدف بزنة شعره فضة على المساكين وأمر بشعره فدفن في الارض وسماه النبي صلى الله عليه وسلم ودفعه لام بردة خولة بنت المنذر بن زيد الانصاري زوجة البراء بن أوس لترضعه وأعطاها قطعة نخل فكانت ترضعه في بني مازن وترجع به الى المدينة وكان صلى الله عليه وسلم ينطلق اليها فيدخل البيت ويأخذه فيقبله ثم يرجع، وقد أقام النبي صلى الله عليه وسلم عشر سنوات بعد وفاة السيدة (خديجة) أم المؤمنين رضي الله عنها وبعد زواجه من عائشة رضي الله عنها لم ينجب اثناء هذه الفترة الطويلة وإذ «بمارية» رضي الله عنها تلد له ابراهيم عليه السلام فتقر عينه به، ويترعرع الطفل ويزداد شبه بأبيه صلى الله عليه وسلم فيضمه الى صدره فرحاً به، يزداد به تعلقاً كلما ازداد نمواً وبعد بلوغ ابراهيم عليه السلام السنة الثانية من عمره، مرض مرضاً شديداً وأسرع فيه المرض،

فذبلت نضارته وذهب لونه، ولم ينفعه تمريض أمه، ولم يبعث عطف أبيه الى جسمه النحيل الشفاء، ويشتد الألم برسول الله صلى الله عليه وسلم لما يرى من حاله و يبلغ منه الألم ان يأخذ بيد عبد الرحمن ابن عوف يعتمد عليه في مسيرته من المدينة الى النخل بجوار العالية من ضواحي المدينة حيث تقيم «مارية» تمرض ابنها، وتُعينها أختها شرين في تمريضه وتواسيها في بأسائها. ويرى النبي صلى الله عليه وسلم الطفل في حجر أمه بنفسه، فيملأ الألم قلبه وتزرف بالدمع عينه، ويجلس الى جوار «مارية» التي امتلأ قلبها حزن على مرض ابنها، وينظر النبي صلى الله عليه وسلم الى ابنه وهو في حجر أمه ويقول «إنا يا ابراهيم لا نُغنى عنك من الله شيئاً» فتصيح الأم وتصيح أختها شرين والطفل في غيبوبة الموت وتصعد هذه الروح الطاهرة الى ربها فيقول الرسول صلى الله عليه وسلم والجثة الصغيرة الهامدة في حجره «يا ابراهيم لولا أنه أمر حق، ووعد صدق، وأن آخرنا سيلحق بأولنا، لحزنا عليك بأشد من هذا، ثم يخنقه البكاء فلا يستطيع ان يتابع القول فيعلوه الوجوم وقد ارتسم الحزن على وجهه، ويشعر بأنه مفارق هذه الفلذة من كبده فيهز رأسه ويقول «تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول إلا ما يرضي الرب، وإنا يا إبراهيم عليك محزونون» ويحس النبي صلى الله عليه وسلم ما به من حزن وما يلفحه من حرقة وينظر الى مارية وأختها فتأخذه الرأفة بهما فيكفكف من دمعه ويتوجه إليهما يريد تعزيتهما فيذكر لهما ان له لمرضعاً في الجنة، ويقوم ومعه عمه العباس وطائفة من المسلمين يشيعون إبراهيم بعدما غسلوه وحملوه على سرير صغير وتوجهوا به الى البقيع وكان النبي صلى الله عليه وسلم مستقبلاً للجبل «فقال يا جبل لو كان بك مثل ما بي لهدّك ولكن إنا لله وإنا إليه راجعون» وصرخ أسامه رضي الله عنه فنهاه الرسول صلى الله عليه وسلم فقال له رأيتك تبكي فقال صلى الله عليه وسلم البكاء من الرحمة والصراخ من الشيطان. وبعد الوصول الى المقبرة نزل في قبره الفضل بن العباس هو وأسامه بن زيد رضي الله عنهما وجلس الرسول صلى الله عليه وسلم على شفير القبر حتى دفن ابراهيم فقال الرسول صلى الله عليه وسلم «يا بني ان القلب يحزن والعين تدمع ولا نقول ما يسخط الرب إنا لله وإنا إليه راجعون» يا بني قل الله ربي والاسلام ديني

ورسول الله ابي ، فبكت الصحابة رضوان الله عليهم ومنهم عمر رضي الله عنه بكى حتى ارتفع صوته فالتفت اليه النبي صلى الله عليه وسلم فقال ما يبكيك يا عمر فقال يا رسول الله هذ ولدك وما بلغ الُحلم ولا جرى عليه القلم ويحتاج الى تلقين مثلك يلقنه التوحيد في مثل هذا الوقت ، فما حال عمر وقد بلغ الُحلم وجرى عليه القلم وليس له ملقن مثلك ، فبكي النبي صلى الله عليه وسلم وبكت الصحابة ونزل جبريل عليه السلام بقوله تعالى «يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفى الآخرة» والمراد بذلك التثبيت عند الموت وعند سؤال القبر فتلا النبى صلى الله عليه وسلم الآية على الصحابة فطابت الانفس وسكنت القلوب وشكروا الله تعالى ، ثم سوَّى رسول الله صلى الله عليه وسلم على قبر ابراهيم بيده بعد دفنه ثم رش الماء على القبر وأعْلَمَ عليه بعلامة وقال «إنها لا تضر ولا تنفع ولكنها تُقر عين الحي ، وإن العبد إذا عمل عملاً أحب الله ان يتقنه» ويخرج الناس من البقيع بعد موت ابراهيم فإذا الشمس تكْسف ، وإذا آية النهار تُمحى ، فيحسبون ذلك معجزة شارك الكون بها رسول الله صلى الله عليه وسلم في حزنه لكنه صلى الله عليه وسلم ما يلبث حين يسمعهم يتهامسون بذلك ان يقول لهم «ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا تخسفان لموت احد ولا لحياته ، فإذا رأيتم ذلك فافزعوا الى ذكر الله بالصلاة» ويهرع المسلمون الى المسجد يصلون وقد زادتهم كلمة رسول الله صلى الله عليه وسلم إيماناً بالله عز جل شأنه لا تغيير لسنة الله وأن كل ما يقع فى الحياة إنما هو من أمره سبحانه وتعالى وقد روى احمد عن انس بن مالك : قال : لو عاش ابراهيم بن النبى صلى الله عليه وسلم لكان صديقاً نبياً . فالسلام عليك ورحمة الله بركاته يا ابراهيم .

«رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت انه حميد مجيد» .

«إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما» .

تم بحمد الله فله الحمد والمنة

* فهرس المراجع *

١ ــ كتاب « تاريخ العرب » للدكتور حتى
٢ ــ الطبقات الكبرى لابن سعد
٣ ــ السيرة الحلبية لابن كثير
٤ ــ السيرة لابن هشام
٥ ــ العواصم من القواصم
٦ ــ وفيات الاعيان لابن خلكان
٧ ــ دلائل النبوة للبيهقى
٨ ــ البداية والنهاية لابن كثير

* فهرس الكتاب *

* * * * * * * * *
* * * * * * *
* * * * *
* * *
*

رقم الايداع
١٩٩٠/٨٢٤١
T. S. B. N
977-208-019-3
طبع بالمطبعة الفنية ت: ٣٩١١٨٦٢